

مادة الفرق الإسلامية في الجامعات الإسلامية المتخصصة- قسم العقيدة ومقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة - الجزائر أنموذجاً-

د/ زبيدة الطيب: محاضر أ

كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة- الجزائر.

الملتقى العلمي الدولي المشترك الثاني : صوب ثقافة مجتمعية وسطية نابذة للعنف ودور ا
لجامعات و المؤسسات المعنية في ترسيخها بتاريخ: 7-10 مارس 2023

تنظيم: جامعة صلاح الدين أربيل، ومنظمة حكماء العراق للعدالة الانتقالية- العراق

الملخص.

تقدم الفرق الإسلامية في الدرس العقدي في بعض الجامعات الإسلامية على أنها مصدر
الافتتال والفتن والحروب والتعصب. في الوقت الذي تنظر فيه نخب فكرية وتعليمية وتجارب
أخرى في جامعات وكليات وأقسام متخصصة، ومنها قسم العقيدة ومقارنة الأديان في جامعة
الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر- للفرق على أنها مصدر للتنوع الفكري والتعددية
الثقافية الطارد للتعصب.

ومن هذا المنطلق يحاول المختصون من الأساتذة والمؤطرين في هذه الجامعة تقديم
مادة معرفية متصالحة مع الذات الإسلامية المنفتحة على الآراء والأفكار والمتعايشة مع
المخالف داخل الوطن الواحد. وهي المادة التي تكشف للطالب طبيعة الاختلافات بين الفرق
الإسلامية والتيارات والطوائف، وأسبابه ومنهج فهمه وتفهمه،

ومن ثمة فإن الورقة تتغياً تقديم هذه التجربة التي تكشف محاورها وعناصرها الدوافع
الحقيقية التي تقف خلف إدانة الاختلافات الحاصلة بين الفرق والتيارات الإسلامية في التراث
الإسلامي وكيفية توظيفها اليوم، وتحاول إظهار حجم المغالطة التي تكتنف درس الفرق
الإسلامية من خلال إظهار أنها السبب الرئيسي في الفتن والحروب، وما يسمى بظاهرة
الإرهاب والذبح على الهوية الطائفية والمذهبية في الكثير من بلدان العالم الإسلامي.

summary

Islamic sects are presented in the doctrinal lesson in some Islamic universities as the source of fighting, strife, wars and intolerance. At a time when intellectual and educational elites and other experiences in universities, colleges and specialized departments, including the Department of Doctrine and Comparative Religions at Emir Abdelkader University of Islamic Sciences in Algeria, consider the difference as a source of intellectual diversity and cultural pluralism that repel intolerance.

From this point of view, the specialists among the professors at this university try to provide a material of knowledge that is reconciled with the Islamic self, which is open to opinions and ideas, and coexists with the violator within the same homeland. It is a subject that reveals to the student the nature of the differences between Islamic sects, currents, and sects, and their causes and the method of understanding and understanding them.

Hence, the paper fails to present this experience, whose axes and elements reveal the real motives behind condemning the differences between the Islamic sects and currents in the Islamic heritage and how to employ them today. And the so-called phenomenon of terrorism and slaughter on the sectarian and sectarian identity in many countries of the Islamic world.

توطئة:

دخلت العقيدة الأشعرية إلى الجزائر، وإلى المغرب الإسلامي بصفة عامة، في القرن الرابع الهجري على يد أبي إسحاق إبراهيم الزبيدي المعروف بالقلانسي⁽¹⁾ وقد ظلت عقيدة العلماء والخاصة طيلة الفترة المرابطية. وعمل الموحدون بعد اعتلائهم السلطة في أعقاب سقوط المرابطين على نشرها بين العامة. وكان لكتاب المرشدة للمهدي بن تومرت⁽²⁾ دورا بارزا في ذلك. فصارت بعد ذلك عقيدة الجزائريين إلى جانب المذهب المالكي في الفقه ومذهب الإمام الجنيدي في السلوك والروحانيات أو ما يعرف بالتصوف؛ فتشكلت بذلك ما بات يعرف بالمرجعية العقديّة والفقهية التي توحد حولها الجزائريون؛ بحيث صارت الجزائر من بين أكثر البلدان في العالم الإسلامي التي تنعم بانسجام عقدي بين.

وحتى مع دخول العثمانيين ظلت الجزائر تحافظ على انسجامها العقدي، ولم تسجل محاولات للسلطة العثمانية تطال تغيير العقيدة الأشعرية؛ وربما يرجع ذلك إلى قربها من العقيدة الماتريدية أو لأنها لم يكن لها كبير اهتمام بهذا الجانب، ولم تسجل كذلك محاولات تذكر للاستعمار الفرنسي في هذا المجال؛ إذ كان اهتمام السلطات الفرنسية منصبا على محاربة الإسلام كدين وهوية للشعب الجزائري.

ومع بدء محاولات النهوض في العالم الإسلامي، والتي دشنت بحركة محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر، ودعوته إلى ما سماه تنقية عقيدة التوحيد من مظاهر الشرك التي انتشرت في بلاد نجد والحجاز وسائر بقاع العالم الإسلامي، وجدنا هذا المد قد وصل إلى الجزائر، وتأثرت بهذه الدعوة العديد من الشخصيات والجمعيات والحركات. غير أن التحدي الاستعماري وتركيزه على فرنسة الجزائريين وتمسيحهم استحوذ على جهود معظمهم؛ فلم يكن لدعاة الوهابية فرص تذكر لفرضها أو نشرها بين الجزائريين. وبعد الاستقلال الوطني في العام 1962 تم تأميم العمل الديني بفعل التوجهات السياسية التي تبنتها الدولة؛ فكان من الصعب أن تجد الوهابية أو غيرها من الحركات طريقها نحو الظهور أو العمل العلني.

ومع الانفتاح السياسي الذي صاحبه انفتاح ثقافي على البلدان العربية والخليج في أعقاب أحداث 5 أكتوبر 1988، وبدء انتقال الكثير من الطلبة إلى بعض البلدان الخليجية والشرق الأوسط؛ شهدت البلاد انتقال بعض الفهوم والتفسيرات العقديّة إلى الأوساط الجامعية لتعم بعض الأطياف الشبابية وتقديمها على أنها الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، وأن ما عليه الجزائريين هو ضرب من البدع والضلالات التي يجب عليهم التخلص منها؛ لنشهد اختراقا واسعا للمجتمع الجزائري بات يهدد الانسجام الذي عاشته الجزائر طوال تاريخها الممتد. فكان من الضروري

1 - رجل صالح فقيه فاضل عالم بالكلام والرد على المخالفين. ت. 359هـ [ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، ج1، ص268.]

2 - صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب، نشأ طالبا للعلم وانتهى به المطاف إلى العراق واجتمع بأبي حامد الغزالي والطرطوشي. كان ورعا خلوقا، نال من علم الحديث والفقه وأصول الفقه ما أهله للقيادة وتأسيس دولة الموحدين. [أبو بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1977، ج5، ص45-55]

أن تتصدى الجهات المعرفية ممثلة في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية؛ التي تم افتتاحها في العام 1984 لهذا الخرق، وفي هذا السياق تم إنشاء قسم العقيدة ومقارنة الأديان.

قسم العقيدة ومقارنة الأديان: استحدث قسم العقيدة ومقارنة الأديان في العام 1986 أي بعد عامين من افتتاح جامعة الأمير عبد القادر، وهي أول جامعة في الجزائر متخصصة بدراسة العلوم الإسلامية، ويعنى هذا القسم بتقديم مادة معرفية تخص العقيدة الإسلامية والدراسات المقارنة بين الأديان. وتعد مادة الفرق الإسلامية من بين المواد التي تعنى بالتعريف بالتيارات والفرق الإسلامية، وتحمل عنوان **الأصول المنهجية للفرق الإسلامية**.

تتضمن مادة الأصول المنهجية للفرق الإسلامية مادة ثرية وغنية منهاجاً وموضوعاً وأهدافاً وغايات، ففيها يكتشف الطالب أن ثمة عقيدة واحدة يدين بها المسلمون في كل مكان وزمان، وهي ثابتة ومحفوظة في كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. ويكتشف في الوقت ذاته أن ثمة أكثر من فهم وتفسير لهذه العقيدة. وفيها سيقف الطالب على أن ما يسمى صراع بين الفرق ما هو إلا اختلاف في الفهم والتفسير فرضته ظروف ومناهج كانت بدورها انعكاساً لتطورات فكرية وثقافية وسياسية واجتماعية أفضت بشكل أو بآخر إلى تعدد واختلاف في الآراء والفهم، وأن ما يساق ويقدم على أنه صراع هو في الواقع ثراء ودرجة كبيرة من النضج العقلي والتفاعل مع الواقع ومع النص القرآني ونصوص السنة النبوية الشريفة، ومع الوافد من الخارج والمنتج المحلي. وأن الصراع المؤذي والذي يقود إلى الاقتتال ليس مرده الاختلاف في الفهم، بقدر ما هو توظيف سياسي لذلك الاختلاف ينبغي فضحه وعزله وبيان حجم المغالطة التي يسوقها الكثير في سبيل القضاء على التعددية الفكرية والتنوع الطائفي والمذهبي. وأنه ليس علينا أن ندين الاختلاف بل علينا أن نرفع مستوى التفكير ودرجة الوعي والحس الوطني والديني تجاه أوطاننا ومجتمعاتنا.

فالأصول المنهجية للفرق الإسلامية: هي مادة مدرجة ضمن المواد الموجهة لتكوين طلبة السنة جذع مشترك وتوجيههم إلى تخصص العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي، وهي تتألف من شطرين (الأصول المنهجية + الفرق الإسلامية) وتقتضي المنهجية التدرج في التعريف؛ فنبداً بالشرط الأول، وهو الفرق الإسلامية.

تقدم الفرق الإسلامية بوصفها العلم الذي خطه كتاب الفرق والمقالات كأبي الحسن الأشعري (ت 324هـ) والبغدادي (ت 429هـ) وابن حزم (ت 456هـ) والشهرستاني (ت 548هـ) وغيرهم في التراث الإسلامي؛ فهو علم الفرق الذي تباينت تعريفاته؛ حيث عرفه القنوجي بأنه «هو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية»⁽¹⁾ وهو التعريف الذي يجد صداه عند كثير من الباحثين والدارسين، ويسهم بدرجة كبيرة في تعطيل السير نحو الانفتاح والدفع بالطلاب والمتلقين نحو التعصب؛ فهو يقدم علم الفرق على أنه المعيار الذي يقوم بتحديد وضبط المذاهب والمعتقدات والفهم وفرز ما يعتبره على صواب منها عن غيره،

¹ - محمد الصديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار الزكار، دمشق، دار الكتب العلمية، 1978، ج2، ص515

وهو ما انتبه إليه بعض الباحثين، ومنهم الدكتور عمار جيدل⁽¹⁾ الذي يقدم تعريفاً أقرب إلى إحداه نوع من التوازن وأقدر على بناء مساحة من الانفتاح تجاه الفهوم والمذاهب الأخرى من دون أن يكون وصياً على منهجها وطريقة تفكيرها؛ فيقول: «علم الفرق هو الفن المهتم بالتأصيل الشرعي للفرق الإسلامية من مظانها وكتب جهابذة علمائها والكشف عن مجموع آرائها والخلفية النظرية التي تستند إليها وصلة كل ذلك بمواقفها الفكرية والسياسية بل وكل ما من شأنه أن يؤثر في أتباعها»⁽²⁾

فإذا حاولنا النظر في التعريفين وإحداث مقارنة بسيطة سنقف على حجم الفرق، وعلى ما ينبغي تلافيه أو تجاوزه من (المعارف) التي تقدم على أنها نهائية وجاهزة وغير قابلة للنقد؛ فعلم الفرق عند القنوجي هو علم يتولى فرز الفرق ليعرف من هو على صواب ومن هو على الباطل بالنسبة لفهمها لمسائل العقيدة، في الوقت الذي يظهر فيه علم الفرق عند عمار جيدل على أنه العلم الذي لا تعنيه المفاضلة ولا فرز الفرق أو النظر فيمن هو على صواب أو هو على باطل؛ بقدر ما يعنيه بيان وكشف تلك الآراء من خلال كتب علمائها ومصادرهما من أجل فهم مواقف أتباعها الفكرية والسياسية ومن ثمة تفهمها، والتفهم لا يعني بالضرورة الاقتناع.

ولا شك أن الاعتماد على التعريف الثاني ضرورياً لتقديمه للطالب بصرف النظر عن المذهب أو الطائفة التي ينتمي إليها أو الرأي والفكرة أو الفهم الذي يتبناه؛ فالتعريف بالنسبة لصاحبه يستند إلى حجج أحسب أن الغالبية العظمى من المسلمين يوافقون عليها ويشاطرونه الرأي فيها، وهي الإكراهات والتحديات الواقعية التي يعيشها المسلمون اليوم، ولعل أبرزها حالة التشطي والتفرقة والذبح على المذهب والطائفة والتي يستل معظمها مبرراته من مقولات الفرق القديمة⁽³⁾ ومن ثمة فإن طالب العلم الشرعي يجب عليه أن يدرس الفرق كإنتاج فكري اجتهادي يقبل ويرد، وليس كأنساق إجبارية التمثل كي تتلاشى أمامه المعينات النفسية ويصبح قادراً على التفهم والانفتاح.

وأما أهداف دراسة وتدریس علم الفرق؛ فإننا نحاول أن ننأى بها عن تلك التي تعمد إلى الشحن ضد المخالف على شاكلة أن يكون الهدف هو التركيز على ذم التفرق وبيان محاسن اتحاد المسلمين وجمعهم على طريق واحد، وتبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم فيما سبق من الزمان ليجتنبوها، ومعرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدامة، ورصد تلك الأفكار التي يقوم بها الخارجون عن الخط السوي والصراط المستقيم وأن نعرف الفرقة الناجية التي اهتدت بهدي الحق وابتعدت عن تلك الشوائب الطارئة على العقيدة الإسلامية ووصل الحاضر بالماضي وبيان منشأ جذور الخلافات⁽⁴⁾.

1 - أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي، جامعة الجزائر 1

2 - عمار جيدل، مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية، الجزائر، دار البلاغ للنشر والتوزيع، ص 17

3 - انظر: المرجع نفسه، ص 19

4 - انظر: غالب بن علي العواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، ط 4، جدة، المكتبة العصرية الذهبية، 2001، ص 34-35

إن تلك الأهداف، وإن كنا نتفق على أغلبها من حيث المبدأ، لكن ثمة أمور يجب توضيحها للطالب، ومن ذلك:

ليس الاختلاف في الرأي والفهم والتفسير هو المفضي إلى التفرق؛ وإنما توظيف الاختلاف بغرض إحداث الفرقة هو المذموم؛ لأنه لا العقل ولا الشرع ولا الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها تلزم الناس على أن يكونوا على رأي واحد؛ إنما تلزمهم على أن يتوافقوا على الحد الذي به تتحقق مصلحتهم أو على الرأي والفهم الذي هو أقرب إلى إحداث وعي تجاه المصلحة العليا، وما من عقل متحرر من الضغط الأيديولوجي والأنايية والمصلحة الشخصية إلا وهو مهتد إلى هذه المصلحة؛ لأنه لقاتل أن يقول كيف يمكننا أن نجتمع على مصلحة عليا والكل يعتبر أن ما يراه هو المصلحة العليا؟ غير أن ما سبق أن ذكرناه، وهو التحرر من الضغط الأيديولوجي وتفعيل البعد الأخلاقي في العملية كفيلا بأن يظهر المصلحة العليا وأن يفرق بينها وبين المصلحة الشخصية.

ثم إن تقديم الفرق على أنها هي أسباب الاقتتال فيه مغالطة لأن الفرقة في الأصل هي تعبير « عن مشروع فكري ناهض بوظيفة تأويل جديد للنص القرآني. ثم تتشكل أسس ذلك المشروع شيئاً فشيئاً بحسب ما توفّره المعرفة السائدة من إمكانات بحث ونظر ومناهج استدلال وحجاج»⁽¹⁾ فإن تحولت إلى سبب أو مادة للاقتتال؛ فالأمر يتعدها ولا يخصها بوصفها مشروعاً فكرياً ناهضاً بل يصير الأمر متعلقاً بأطراف أخرى لها مصلحة في تحويل الفكرة إلى مادة قابلة للاشتعال والحرية إلى فوضى، ونعني بها ظاهرة الاستبداد السياسي وجرأتها المنقطعة في توظيف المتاح وغير المتاح من أجل تكريس الاستبداد وتكميم الأفواه وشحن القلوب بالضغائن والأحقاد التي تشكل اليوم قاعدة بيانات ومعلومات لجماعات وشخصيات التكفير والتعصب في البلاد العربية والإسلامية غالباً ما يكون الشباب وقودها والخاسر الأكبر فيها.

إن جمع الكلمة التي يُكثر الداعون إليها لم تكن في يوم من الأيام مطلب الساسة وأصحاب المصالح سواء تعلق الأمر بالحوادث التي شهدتها التاريخ الإسلامي أو تلك التي يشهدها العالم الإسلامي اليوم؛ إذ إن الدعوة إلى الوحدة هي في الغالب دعوة الناس إلى أن يكونوا على رأي الحاكم أو الزعيم أو الحزب، وليس توحيدهم بمعنى أن يكونوا مع الحق بصرف النظر عن حامله.

إن توحيد المسلمين على كلمة واحدة في العالم الإسلامي؛ إنما تعني في الغالب كلمة الحاكم والزعيم ومن دعا بدعوته، وهي دعوة تسهم بطريق أو بآخر في « خلق وتأمين بيئة؛ يزدهر فيها الرأي الواحد والفهم الواحد والتفسير الواحد، وتقديمه على أنه هو الإسلام الذي يكفل وحدة الأمة والقضاء على الفوضى؛ حتى صار هذا الرأي أو الخطاب مع مرور الأيام.»

¹ - بسام الجمل، مقالة في الفرق الإسلامية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، جويلية 2020، تاريخ الدخول: 2020/9/20.

<https://www.mominoun.com/articles/%D9>

(1) « مصدرا للمواقف الصارمة العنيفة تجاه عامة المسلمين من الذين ينتهجون نهجا مغايرا ويستندون إلى العقل في فهم وتحليل قضايا المعتقد، ويمارسون الاجتهاد الكلامي ويرفضون الترسيمات الأيديولوجية الجاهزة ويحرصون على غرابة ومحاكمة الآراء الكلامية واصطفاء ما ينهض الدليل على إثباته ونفي ما سواه.» (2)

لقد تم توريث فكرة النجاة من الفتن وواحدية الفهم أو الدمج بينهما كعنصرين؛ يقرأ في ضوءهما تاريخ الفرق والمذاهب وتصاغ الدروس والمحاضرات لطالبي العلم الشرعي؛ حيث صارت مسلمة عند الدارسين والمتلقين، وصارت الفرق محل نفور وازدراء؛ فالفرق الإسلامية في تلك الأدبيات هي من العلوم البدعية؛ التي فرقت الأمة أحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون، وهي أحد أقوى الأسباب التي تربيض وراء الاقتتال والحروب التي حصلت وتحصل بين المسلمين. فيما تم استبعاد دور العامل السياسي وأثر العديد من السلطات السياسية في التاريخ وفي الراهن الإسلاميين في توسيع دوائر التطرف والتكفير بين الفرق والطوائف، وتحويلها إلى فرق وطوائف منغلقة ومتقاتلة فيما بينها؛ بالرغم من أن معظم الدراسات تجمع على دور العامل السياسي في نشأة هذه الفرق ليتكسر خطاب إدانة الفرق ويجري تعميمه، وهو اليوم لا يزال في كثير من الأحيان وراء معظم الممارسات القمعية؛ التي تنتهجها السلطات الاستبدادية ضد المخالفين؛ رافعة شعار ودعوى الحد من الفتن وحماية المجتمعات من التفرق، وجعل الفرق والاختلافات المشجب الذي تعلق عليه كل مظاهر الفشل والتخلف .

إن ما سبق عرضه يظهر للقارئ بأن « لا علاقة للفرق الكلامية بالفتن والاقتتال، كما يتم الترويج له، وليست الفرق أو مقولاتها المختلفة هي ما أفسد حال الأمة قديما، وليست هي ما يذهب ريحها اليوم، بل التوظيف الأيديولوجي والمصالح السياسية الضيقة وراء ذلك كله؛ حيث يجري توظيف الاختلافات ليظهر أن السلامة في شكل الوحدة التي ترسمها السلطات الاستبدادية وتخدم مصالحها وأيديولوجيتها بالدرجة الأولى؛ لنخلص إلى أن الخطر مرده ليس تعدد الفرق والطوائف، وإنما مرده إلى أدلجتها واستغلالها واستعدادها ضد بعضها البعض لمصلحة جهة أو سلطة أو مذهب أو طائفة أو غير ذلك. وهو ما جعل المفكر السوري برهان غليون يرفض أن تكون التركيبية الطائفية للمجتمعات العربية المشرقية مشكلة أو "عاهة بنيوية مرتبطة بتكوين المجتمعات العربية المشرقية ذاتها، ولا يمكن فصلها عنها طالما بقيت هذه المجتمعات ذات بنية تعددية.» (3) بل « إن العاهة الحقيقية هي أدلجة الطائفية باستمرار عبر التشديد عليها والمبالغة في إظهار عمقها في الماضي، والجزم بأبديتها في المستقبل من خلال

1 - زبيدة الطيب، الفرق الإسلامية روافد حضارية ليست معاول هدم، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، المجلد 35، ع02، سنة 2021، ص430.

2 - عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مقدمة: الاجتهاد الكلامي-مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، إعداد: عبد الجبار الرفاعي، قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، دار الهادي للنشر والتوزيع، ص19

3 - زبيدة الطيب، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة مستوى السنة الثانية جذع مشترك أصول الدين، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية: 2019-2020

قياس ضمنيّ على ذكريات التّاريخ الحقيقيّة أو الوهميّة التي تجعل من هذا الفكر الانفصالي عاجزاً عن إدراك التعدّد داخل الواحد، والواحد داخل المتعدّد»⁽¹⁾

ولما ننتهي إلى الهدف الحاسم في تقديم الفرق الإسلامية؛ ألا وهو التعريف بالفرق الناجية؛ يدرك الناظر أن دراسة الفرق أو تدريسها بهذا الشكل، هي في الواقع، إدانة لتعدد الآراء بدل أن تكون تأصيلاً لحرية الرأي والانفتاح على المخالف وفهم مقولاته وتفهمها، أو إشاعة للنقاش الهادئ والمحترم. وهكذا تظهر للطالب والقارئ أن الفرق، بهذا التقديم، هي معاول هدم يجب محاربتها والتصدي لها لأنها سبب الاقتتال والفتن، ويجب ذلك شرعاً لأنها من العلوم البدعية التي تفسد عقيدة الدارس وتبعده عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالح من الأمة، والواقع أنها بالنسبة للعقل الذي يحترم تاريخه وعمقه الحضاري هي إحدى « مظاهر خصوبة الفكر الإسلامي ومن ثم ازدهار الحضارة الإسلامية»⁽²⁾

وفي المقابل يحاول درس الفرق في قسمنا أن يقدم غايات أخرى نخالها أقرب إلى الهدف العام، ونعني به الضرورة المعرفية التي تكشف حقيقة الفرق الفكرية والتوجيهات الأيديولوجية والسياسية، والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية :

- التعرف على المقولات والآثار الفكرية للفرق الإسلامية؛ فهي، وإن كانت قد صدرت وفق رؤية ومنهج بالنسبة لوضعها ومؤسسيها، فقد تم توظيف الاختلاف حولها في صراعات وخلافات دموية انتهت في كثير من الأحيان إلى محن اجتماعية واضطرابات سياسية وأمنية كثيرة. وقد ذكر علال الفاسي على سبيل المثال الكثير من الشواهد مشرقاً ومغرباً؛ منها ما وقع في سنة (447هـ) من "فتنة بين الأشاعرة والحنابلة؛ لدرجة منع أحد الفريقين الآخر من حضور الجمعة والجماعات، وما وقع بينهم في (سنة 469هـ) من تبادل للاتهامات بالتفسيق والتبديع والتكفير.⁽³⁾ ومنها الفتنة التي وقعت بين الموحدين والمرابطين بزعامة محمد بن تومرت الذي اتهم مخالفه من المرابطين بتهم عقديّة كثيرة أهمها: التشبيه والتجسيم.. ثم تهمة المروق من الدين عموماً، فاستبيحت بذلك الدماء وهدمت الدور، وأدخل الغرب الإسلامي في فتنة دامية⁽⁴⁾.

التعرف عليها كونها جزء من التراث الفكري الإسلامي الذي يحسن بطالب العلم الشرعي المتخصص التعرف عليه؛ فإن الأمم الحية لا تنقطع عن تاريخها لمجرد أن جزءاً منه أو بعضه فاسد، بل إنها تعمل على الاستفادة من محطات الفشل فيه حتى تستعيد قوتها ودورها الحضاري؛ لأنه يظل تاريخاً بشرياً يحسن بنا الاستفادة من محطاته المضيئة وتجاوز المحطات المظلمة؛ لأن الفرق في نهاية المطاف هي « من التركة التي نقوم عليها، ولا نهمل التركة؛

1 - برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، بيروت، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات، 2012، ص 08

2 - أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، بيروت، دار النهضة، 1995، ص 09

3 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 15، ص 729، أحداث (سنة 447 هـ

4 - لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 04، ص 45



لأن فيها بعض الزيوف، بل يجب أن نفحصها فحص الصيرفي ليستبعد زيفها ويحفظ جيدها»⁽¹⁾

-التعرف عليها من أجل فهم مقولاتها وأفكارها وتفهمها والوصول من ثمة إلى مرحلة فكرية نضيجة يُحسن فيها المسلمون إدارة الخلافات الفكرية للحيلولة دون الصراعات الدموية المذهبية والطائفية التي تتغذى من مقولات الفرق وأفكارها وفهومها اليوم؛ فإن قراءة أفكار ومقولات الفرق الإسلامية في إطارها الزماني والمكاني وضمن النظام المعرفي الذي يحكمها من شأنه أن يفتح الأبواب مشرعة لتفهمها ويقص من مساحات التعصب للرأي والشطط فيه، ومن شأنه، أيضا، أن يؤسس لحوار ونقد علميين بعيدا عن لغة التجهيل والتفسيق والتبديع المقيتة⁽²⁾ أو كما يقول جيدل: « نهدف إلى تحقيق الفهم المتبادل فيما بين المسلمين فهما صحيحا على وفق مقررات مؤلفاتهم.»⁽³⁾

وبالرغم مما يقدم من فوائد وغايات معرفية لدراسة علم الفرق؛ إلا أننا ألفتنا رهطا من الباحثين والدارسين والأساتذة يقدمون جملة من المحاذير؛ التي تنفر الطلاب منها، وتكثر في المحاضرات والدروس الموجهة للطلاب وفي الكتب واللقاءات العلمية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، ومن ذلك :

إن دراسة الفرق هي بعث لآرائها ومقولاتها التي كان لها دور في إضعاف العقيدة في نفوس الخلق، وإبعادهم عن المنهج الصحيح وتشجيع على إعادة اعتناقها وتبنيها، وهي إحياء للبدع التي بذل العلماء الدماء والجهود من أجل القضاء عليها، وهم يعنون في الغالب انتصار المأمون والمعتصم والوائق للمعتزلة فيما يسمى بحادثة خلق القرآن أو محنة الإمام أحمد، وما تعرض له ورهط آخرين من المحدثين والفقهاء، ثم انتصار المتوكل لهم ضد المعتزلة حتى عرف بناصر السنة؛ فهو من أمر بترك الجدل الذي هو صنعة المعتزلة وأمر الناس بالتسليم والتفويض وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة⁽⁴⁾، وما تلاه من التضييق على القائلين بخلق القرآن الكريم فيما سمي بالبيان القادري الذي رسخ قتل المخالفين حتى صار ذلك سنة في الإسلام، كما يقول الحافظ بن كثير⁽⁵⁾.

والواقع أن هذا المحذور مردود من حيث أن دراسة الفرق، خلافا لما تقدم، إنما تكشف لنا درجة التوظيف البشع للمقولات والفهوم الخاصة بمسائل العقيدة الإسلامية من أجل تكمim الأفتواه ومصادرة الآراء المخالفة سواء كان الفاعل السلطة السياسية أو النخب الفكرية والعلمائية المتحالفة، كما حدث مع المعتزلة مع المأمون والمعتصم والوائق أو مع الفقهاء والمحدثين مع المتوكل والقادر، والتي تظهر أن تلك النخب تمارس في بعض الأحيان الاستبداد

1 - محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية، الرائد العربي، بيروت، ص274

2 - انظر: زبيدة الطيب، مطبوعة بيداغوجية، مرجع سابق.

3 - عمار جيدل، مدخل إلى علم الفرق، مرجع سابق، ص17

4 - انظر: أبو الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي،



بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، 2005، ج4، ص71.

5 - انظر: الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1991، ج12، ص06.

والقمع بشراسة تفوق شراسة السلطات السياسية، وتكشف لنا التحول الكبير في دور العلماء والنخب الفكرية نحو التنظير والتحريض على التكفير والتجهيل والطائفية المقيتة. وإلى اليوم لا تزال أسماء كثيرة ونخب وهيئات وأحزاب تمارس الدور نفسه. وربما كانت دراسة الفرق مهمازاً أو مدخلاً لبيان دورها في التأسيس لقيم التسامح البيئي وقبول المخالف في لحظة تشهد فيها المجتمعات العربية والإسلامية مدا هائلاً لثقافة الكراهية. يقول الكواكبي: « إن العوام صبية أيتام نيام لا يعلمون شيئاً، والعلماء هم إخوتهم الراشدون إن أيقظوهم هبوا وإن دعوهم لبوا وإلا فليتصل نومهم بالموت.»⁽¹⁾

هناك من يرى أنه لا مبرر لدراستها لعدم وجود الفرق في هذا العصر؛ وهذا المحذور متهافت وفيه جهل أو تجاهل أو تجاوز للواقع وعطل كبير في أجهزة وآليات الاستقطاب للمشهد الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي؛ فالعالم الإسلامي اليوم حدوده طائفية ومذهبية أكثر منها جغرافية، وسياسته توجهها في أغلب الأحيان المذاهب والطوائف وأفكاره تصاغ بناء على مقولات وفهوم مذهبية وطائفية وهذا ما نعيشه.

وهناك من يذهب إلى أن دراسة الفرق تعمق الهوة بين المسلمين، وهذا يمكن أن يكون صحيحاً بالنظر إلى غاية الدارس أو المدرس والأستاذ والباحث؛ فهذا العلم ليس محموداً لذاته ولا مذموماً لذاته وإنما يتعلق المدح والذم بالغاية التي يتوخاها المدرس والمتلقي والطالب من دراسته لهذا العلم. وعليه فإنه إذا تم التخلص من التوظيف السياسي والمصلحي والتعصب المذهبي فإن هذا العلم سيحقق فائدة كبيرة.

وأما الشطر الثاني، وهو الأصول المنهجية؛ فيقسم بدوره إلى قسمين: الأصول ومفردها الأصل و: « أصل الشيء أسفله، وأوله ومادته الأولى ومنبته وأساسه وما ينبني عليه غيره.»⁽²⁾ فهناك أصول الفقه، وأصول الدين وأصول التفسير وغير ذلك. وأما المنهج فهو « فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين.»⁽³⁾ وعرفه آخر بالقول: " المنهج هو - الأداة التي يستخدمها الباحث للوصول إلى غرضه أو غايته واكتشاف الحقيقة أو الوصول إلى المعرفة.»⁽⁴⁾ ويعرفه فريد الأنصاري بالقول: « المنهج هو نسق من القواعد والضوابط التي تتركب البحث العلمي وتنظمه.»⁽⁵⁾

« إن الملاحظ في تعريف الأنصاري والتعريفين الآخرين؛ أن المنهج في التعريفين الأوليين يغلب عليه كونه جملة من القواعد الإجرائية التي تحدد طريق السير نحو بلوغ الحقيقة. بينما هو عند الأنصاري نسق؛ واستعمال لفظة النسق له مبرراته عند الرجل؛ فاللفظة تستبطن المضمون الفلسفي والرؤية الفكرية والخلفية النظرية؛ يقول في الموضوع: « وقد حرصنا

1 - عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دط، الجزائر، موفم للنشر، 1988، ص 14.

2 - انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، مادة: أ.ص.ل، 2003، وما بعدها.

3 - عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط3، الكويت، وكالة المطبوعات، 1977، ص 04.

4 - مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ط2، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1998، ص 12.

5 - فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1997، ص 40.

على استعمال كلمة نسق في التعريف إشارة إلى المضمون الفلسفي الساكن في كلمة منهج. فقولنا (المنهج: نسق) يعني أنه منظومة معرفية أو رؤية فلسفية صدرت عن تصور مذهبي ما. ولذلك كانت المناهج تتعدد بتعدد المذاهب الفكرية والفلسفية التي أفرزتها، ثم إن كلمة "نسق" تشير إلى التركيب البنيوي للمنهج؛ إذ ليس هذا عبارة عن مجموعة من القواعد أو طائفة من الضوابط فحسب ولكنه بنية محكمة تتشكل من مجموعة من القواعد والضوابط. (1) « بمعنى أن المنهج هو ليس مجرد قواعد واضحة أو طريق منظم يتبعه الباحث للوصول إلى الحقيقة، أو البرهنة عليها أو حل إشكالات معرفية ما، بقدر ما هو رؤية فلسفية أو عقديّة أو فكرية تتحكم وتوجه. (2)»

وبالجمع بين اللفظتين (أي الأصول والمنهج) الخاصة بالفرق الإسلامية؛ نقول بأن الأصول المنهجية هي تلك القواعد والأسس التي تخضع في بنائها وتأسيسها لرؤية عقديّة وفلسفية وفكرية خاصة؛ أسهمت في تشكيلها العديد من العناصر النظرية والواقعية، وشكلت بذلك نسقا أو بنية محكمة كان لها أثر ودور كبير في أنماط الفهم والتفسير لمختلف المسائل العقديّة.

ونقصد بالعناصر النظرية؛ العقل واللغة وسائر الوسائل والوسائط النظرية التي يبدا أثرها في فهم النص القرآني ونصوص السنة النبوية الشريفة، سواء ما تعلق منه بآيات العقيدة أو غيرها. كما نقصد بالعناصر الواقعية الأثر الفكري والحدث السياسي والمشاكل الأخلاقي وحتى الاجتماعي الذي بدا أثره واضحا في التحكم وتوجيه الفهم والتفسير بالنسبة لأغلب الفرق.

ومن ثمة جاءت عبارة "الأصول المنهجية للفرق الإسلامية" تعبيراً عن طبيعة واضحة للمقولات والتفسيرات الخاصة بكل فرقة من الفرق الإسلامية؛ أي هي صادرة في أغلبها عن رؤية ومنهج، بصرف النظر عن موافقتنا أو معارضتنا لها؛ فإن المعارضة لا تنفي عنها صفة المنهجية بالمعنى الذي ذكرنا. (3)

ويعد تحديد الغاية والهدف من المواد المقدمة للطالب هي أهم ما يظهر قيمتها واهتمامه بها؛ فعدم وضوح الهدف أو عدم ملامسته لواقعه هو في المقابل ما يُرهِد الطالب في الدرس أو المادة المقدمة له، ومن ثمة حرصنا على تقديم جملة من الأهداف نلخصها في النقاط التالية:

1/ معرفة طبيعة الأصول المنهجية التي تستند إليها وتنطلق منها كل فرقة من هذه الفرق، ومدى انسجام أو اتفاق مقولاتها وآرائها مع تلك الأصول، وبيان انعكاسات كل ذلك على الفكر الإسلامي والواقع السياسي والعالمي.

2/ بيان الفهم المتميز لكل فرقة وما ينتج عنه من نظريات معرفية ومواقف سلوكية، وهو ما يساعدنا على الابتعاد عن التنميط وتعميم الأحكام، أو الحكم عليها من خلال آراء الخصوم

1 - فريد الأنصاري، المرجع السابق، ص40

2 - زبيدة الطيب، الأصول المنهجية للفرق الإسلامية، -دراسة مفهومية- مجلة المعيار، كلية أصول الدين، مجلد 26، ع

63، سنة 2022، ص119

3 - انظر: المرجع السابق، ص119

والمناوئين كما يحدث في الكثير من الأحيان؛ فالتعرف على أصول الفرقة يجعل الدارس يفهم أن ما يصدر عنها من آراء ومقولات هو وليد تلك الأصول؛ أو هو نتيجة طبيعية لطريقة التفكير فينبعث في نفسه شيئاً من الاحترام لهذه الفرقة تبعاً لاحترامها لخياراتها وأصولها المنهجية، ويكون النقد أو المناقشة، من هذا المنطلق، هادئاً ومحترماً وبعيداً عن التجهيل والتبذير وما إلى ذلك...

3/ تحقيق الفهم الصحيح بين المسلمين على وفق مقررات مؤلفاتهم ومصادرهم، ما يؤدي إلى الانفتاح على الرأي الآخر والفهم الآخر وقبوله وتفهمه، والقبول لا يعني الاقتناع لأن القبول سيكون لأصل الاحترام كقيمة إنسانية وخلق إسلامي وليس لأصل المقولة أو الفهم أو الاعتقاد؛ لأنه بالقدر الذي يحدث الفهم تتسع دائرة التفهم والاقتراب من غير أن يسلب أحد حق الآخر في الفهم أو التفسير أو الرأي .

4/ فتح دوائر المعرفة المتبادلة، وتدوير زوايا الاختلاف وفك الارتباط بين الخلاف والاختلاف وإبراز الجوامع المشتركة على قاعدة رأي صحيح يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

5/ كشف أسباب الاختلاف؛ فإذا تم التعرف على أصول هذه الفرق وتلك وظهر توافق الآراء والمقولات معها (أي مع الأصول) انكشفت الأسباب الحقيقية التي تتدخل عادة لتجعل من الاختلاف خلافاً .

6/ مراعاة النظام المعرفي لكل فرقة؛ حتى لا يلوم القارئ تلك الفرقة أو ذلك المذهب لأنه تحرك داخل زمانه ومكانه، وكان خادماً وفاعلاً لتاريخه ومرجعيته ووفياً لها .

إن ما سبق بيانه من أهداف هو ما يهيء أجواء الحوار البناء والمحترم، ويفتح أبواب النقاش الهادئ والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن؛ كما دعا إلى ذلك الله عز وجل في قوله تعالى: " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن." [النحل/125] (1)

وإذا كان بيان تلك الأهداف كفيل بإحداث نوع من الانفتاح والتفهم على مستوى تلقي الطالب؛ فإن السؤال المطروح هو كيف يكون تفاعله، وهو التساؤل الذي سنحاول الإجابة عنه؛ إذ إنه من المفيد أولاً التذكير بأن القبض على نتائج محققة بإزاء الموضوع ليست متيسرة في غياب عملية إحصائية أو دراسة ميدانية تظهر نتائج مضبوطة؛ إلا أنه يمكننا القول بأن ثمة نتائج إيجابية نلمسها من خلال الاحتكاك المباشر بالطلبة والمقارنة بين ما كان يحمله من أفكار قبل تلقيه المادة وما بعدها؛ حيث نلمس أن الطالب على العموم يبدأ في التعامل مع الفرق والتيارات بإيجابية من غير تعصب لتيار أو فرقة على حساب أخرى أو ضدها، وأن درجة التحامل تبدأ في التناقص من خلال البحث على مصادر الفرقة لا النقل من مصادر خصومها، وأن النقاش يبدأ في اتخاذ طابع الهدوء لا التشنج الذي نلحظه في أولى الحصص واللقاءات،

1 - زبيدة الطيب، مطبوعة بيداغوجية، مرجع سابق.

كما يبدأ في البحث عن آراء ومقولات مختلف الفرق من خلال اختيار البحوث التي تنجز داخل الحصص وهو الأمر الذي يشجع على محو الصور النمطية التي تتكون عند الطالب، والتي يجلبها معه إلى الجامعة، كما يبدأ الطالب في قبول الاثنيات العقدية والمذهبية والطائفية وتبدأ القابلية للتعايش والتعاون في التشكل والتكون، والأهم الذي أراه شخصيا هو بدء تلاشي عبارات التكفير والتضليل والتبذيع من الحوارات والنقاشات العامة، وهي التي نراها ستعكس إيجابيا على المادة المعرفية التي ستستعمل وتوظف في الوظيفة بعد التخرج. نقول هذا الكلام من دون أن نذهل على ما يمكن أن يفعله الخطاب المتعصب والمقوبل داخل الجامعة، وهو خطاب، بالرغم من خطورته إلا أنه من الممكن أن نصنع منه خطابا معزولا في الأجواء المنفتحة والمحسنة معرفيا وأخلاقيا.

ثمة ركن رئيسي في العملية التعليمية، وهو الأستاذ أو المدرس المعني بتقديم مادة معرفية موضوعية، وهذا الركن مهم جدا في العملية، لأن وجوده بغير المواصفات التي سنتطرق إليها تؤول العملية برمتها إلى الفشل، وربما أدت عكس المأمول. وتتمثل تلك المواصفات في جملة من الشروط والضوابط المطلوبة في كل العلوم، وهي في موضوع الفرق تبدو ضرورية أكثر.

أولها- الضوابط المعرفية: والمراد بها امتلاك الأدوات المعرفية المتمثلة في :

-الاستيعاب الجيد والبحث المستمر والقراءة والعودة إلى المصادر مع توخي الموضوعية والوظيفية والابتعاد عن القراءات المذهبية والطائفية؛ أي أن يكون « متحليا بنباهة الفكر ولا يكون ذلك إلا بالتحصيل والقراءة المستمرة.»⁽¹⁾

-التمكن من المصطلح من أجل تفادي التعميم وفهم المراد منه عند أصحابه حتى لا يقع في أخطاء في حق هذه الفرقة أو تلك؛ ففهم المصطلح ببعد واحد يؤدي حتما إلى إنتاج معنى واحد⁽²⁾

-التمكن من علوم اللغة وهذا ضابط لم يختلف حوله اثنان، وقد أسهب الأصوليون في بيان دور اللغة العربية في مجال الدراسات الإسلامية لارتباطها بالنص الذي نزل على طرائق العرب في الكلام؛ يقول الأمدي: « معرفة موضوعات اللغة من جهة الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد...مما لا يعرف في غير العربية.»⁽³⁾

-التعامل المباشر مع المصادر: لأن تقرير آراء الفرقة من مصادر خصومها يؤدي حتما إلى التجني أو تقويلها ما لم تقل ثم إصدار الأحكام الجزافية وبناء المواقف والسلوك وفقها.

1 - عمار جيدل، مدخل إلى علم الفرق، مرجع سابق، ص60

2 - انظر: المرجع نفسه، ص 60

3 - سيف الدين الأمدي ، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط1، المملكة السعودية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، 2003، ج1، ص9

الضوابط الأخلاقية: وهي في الجملة ما ينبغي أن يتحلى به المسلم من أخلاق تمنعه من التجني على المخالفين أو تقويلهم ما لم يقولوا أو ازدراء آرائهم وتحقير فهمهم والتعالي عليهم واحتكار الحقيقة والانغلاق على الرأي الخاص ونبذ الآراء المخالفة ومن ذلك:

-استحضار الرقابة الإلهية: لأننا « لا نفع ذلك في غيبة المولى بل تحت سلطانه ورعايته ورقابته فنحن نستلهمه دائما كما لو كان يواصل في أعماقنا دوره كمشرع.»⁽¹⁾

-التثبت قبل إصدار الأحكام: وهو تحصيل حاصل لاستحضار الرقابة الإلهية أو ما أسماه الدكتور جيدل بالتقوى بمضمونها المعرفي أو العلمي. وأصلها قوله تعالى: ﴿لَنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء/36]

-ترك الانتصار للذات إن أفضى البحث الموضوعي إلى عدم صحة المعارف السابقة والانتصار، بدلا عن ذلك، لمقتضيات البحث الموضوعي مع الحرص على حق النقد الذي لا يعني الازدراء والسخرية.

-ترك التعالي على المخالف والبحث عن التقاطعات والمشاركات.⁽²⁾

- التحلي بروح المسؤولية وإدراك حجم المأساة التي تمر بها الأمة من جراء تعصبه لمذهبه أو طائفته ضد الطوائف الأخرى؛ ذلك أن المدرس الغير مسؤول، هو في الواقع، العنصر الأبرز في تأجيج مشاعر التعصب وصناعة التطرف، والانتباه إلى أن المتلقين من الطلبة لا يزالون في فترة عنفوان الشباب وأن ما يحركهم في الكثير من الأحيان هي العواطف لا العقل، وأن التأجيج الذي يتلقاه من الإعلام ومن الشارع أو من بيئته ينبغي أن تهذبه الجامعة ويعدله المدرس الأكاديمي، وعليه ينبغي أن لا يحول الأستاذ الجامعة وكرسي الجامعة إلى منبر حزبي وفضاء للتجبيش والشحن وإظهار التفوق والغلبة؛ لأننا في الواقع بكل طوائفنا ومذاهبنا مغلوبون ومقهورون في مواجهة الهيمنة الغربية والاستكبار العالمي والمد الصهيوني، والكل مهزوم في مواجهة التخلف عن الشهود الحضاري والانسحاب المريع من المشهد العالمي في كل المستويات وعلى جميع الأصعدة.

وأما الركن الثاني في العملية فهو **المتلقي ونعني به الطالب**، فالطالب الذي تسهل قولبته أو يمتلك شحنة أيديولوجية غير قابلة للتنازل هو في الواقع أصعب حلقة في العملية، وهذا هو الطالب أو الشريحة التي تراهن عليها الجهات التي تحسن التوظيف والاصطياد في المياه العكرة، وهو نفسه الطالب الذي ينبغي التركيز عليه من خلال التوجيه إلى تنويع القراءة والاحتواء العاطفي وحتى التأديب والقوانين الردعية داخل الجامعة من أجل الالتزام بالحضور والنقاش الهادئ والابتعاد عن الاستفزازات؛ التي يمارسها البعض في حق المخالفين من الطلبة فكلها أمور يمكن أن تجد طريقها نحو استعادة الطالب لوعيه ولو متأخرا، وهي الطرق التي

1 - عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، تعريب وتعليق: عبد الصبور شاهين، ص134
2 - انظر: زبيدة الطيب، المطبوعة البيداغوجية، مرجع سابق.

يتقنها غيرنا في إنقاذ الأدمغة وإعادة إدماجهم وردهم إلى حضن أوطانهم وطوائفهم بسلام وسلاسة.

وتعد **المادة المعرفية** الركن الثالث، ونعني بها المفردات التي يتم اختيارها لتكون زاد الطالب في مسيرته المعرفية والإنسانية، وتبدأ بمدخل ضروري حول الاختلاف وأسبابه ثم إدراج الفرق بتسلسلها الزمني والتعريف بها وبمقولاتها الاعتقادية ومواقفها السياسية، لنذهب إلى الأصول المنهجية لكل فرقة؛ حيث يجري التركيز على العناصر والظروف التي شكلت أصولاً وقواعد توکأت عليها هذه الفرقة وتلك في فهم وتفسير مسائل العقيدة الإسلامية وفي تحديد المواقف السياسية، وهي تتأرجح بين العقل والنقل والمجاز والتأويل والتفويض والتحديات المعرفية والتقلبات السياسية وغير ذلك؛ حيث يظهر انعكاس تلك الأصول في المقولات والمواقف وتفهم في ضوءها لا خارجاً عنها.

وقد قدمنا الأستاذ والمدرس على المادة المعرفية؛ لعلمنا أن المادة الثرية بين يدي الأستاذ الذي يفتقد لمعايير وشروط تدريسها غير مجدية، وقد تتحول إلى مادة لصناعة التطرف والتعصب أكثر منها مادة تحويلية قادرة على صناعة الانفتاح والتعاون. وقد وقفنا على مقررات ومفردات الفرق الإسلامية في بعض الكليات والجامعات فوجدناها ثرية عموماً، ثم إذا توغلت ودخلت إلى ما يقدم والمحاضرات التي تشكل الدرس المقدم للطالب؛ تأخذك الدهشة وتصاب بالدوار بالنظر إلى ذلك الكم من الشحن الطائفي والمذهبي والمصطلحات وعبارات التمييز والكرامية التي توصف بها الآراء والفهوم والتفسيرات. لذلك فليس يجدي المادة ما لم تكن بين أيدي أمينة حريصة على عقول ودماء المسلمين.

النتائج

1/ إن التيارات والفرق هي في الواقع فهوم وتفسيرات متعددة لعقيدة واحدة، وقد نشأت في ظروف وسياقات غلب عليها الطابع السياسي،

1/ إن الانتماء الطائفي والمذهبي والعقدي هو حق طبيعي تكفله أغلب الشرائع والقوانين؛ إلا أن الانتماء المدمر الذي يتغياً سحق وهضم حق الآخرين في الانتماء إلى طوائفهم ومذاهبهم مرفوض وغير مقبول، ويجب محاصرته.

2/ إن الجامعة هي أكثر الفضاءات المعنية بصناعة الوعي والانفتاح وطردهم التعصب عملياً؛ لأن التعصب سلوك وعمل والانفتاح كذلك سلوك وعمل وليس شعارات وخطب ودروس.

3/ إن النخب الجامعية خاصة الدينية منها ينبغي أن تتحمل العبء الأكبر في العملية، وأن تتخرط بجدية وإخلاص في العملية وأن تترفع عن أطماع ومطامح السياسيين وأن تسترجع زمام المبادرة.

4/ إن التحول على مستوى الوعي والانفتاح له أثمان، وإن أمتنا دفعت وتدفع أثماناً باهظة في هذا المجال، وأن وقت اليقظة قد حان من أجل رسم طريق العيش المشترك والحب والرحمة التي منحنا إياها القرآن الكريم وأدرنا لها ظهورنا بفعل التعصب والحقد وثقافة الكراهية.

5/ يجب تجاوز الحديث عن التعايش نظرياً، والذهاب إلى محاولة إيجاد مخرجات تدفع بالمجتمعات العربية والإسلامية نحو تحقيق الاستقرار والتعايش الحقيقي.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ الأمدي، سيف الدين ، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط1، المملكة السعودية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، 2003، ج1.

2/ ابن كثير، الحافظ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1991، ج12، ج15

3/ ابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر، مادة: أ.ص.ل، 2003

4/ أبو زهرة، محمد ، الوحدة الإسلامية، الرائد العربي، بيروت،

5/ الأنصاري، فريد أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1997،

6/ بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ط3، الكويت، وكالة المطبوعات، 1977

7/ الجمل، بسام، مقالة في الفرق الإسلامية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، جويلية 2020، تاريخ الدخول: 2020/9/20. <https://www.mominoun.com/articles/%D9>

8/ جيل، عمار ، مدخل إلى دراسة الفرق الإسلامية، الجزائر، دار البلاغ للنشر والتوزيع،

9/ الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج04.

10/ دراز ، عبد الله دستور الأخلاق في القرآن، تعريب وتعليق: عبد الصبور شاهين

11/ الرفاعي، عبد الجبار ، علم الكلام الجديد، مقدمة: الاجتهاد الكلامي-مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، إعداد: عبد الجبار الرفاعي، قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، دار الهادي للنشر والتوزيع

12/ صبحي، أحمد محمود ، في علم الكلام، بيروت، دار النهضة، 1995.

13/ الطيب، زبيدة، الفرق الإسلامية روافد حضارية ليست معاول هدم، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، المجلد 35، ع02، سنة 2021.

الأصول المنهجية للفرق الإسلامية، -دراسة مفهومية- مجلة المعيار، كلية أصول الدين، مجلد 26، ع 63، سنة 2022.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة مستوى السنة الثانية جذع مشترك أصول الدين، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية: 2020-2019

14/ العواجي، غالب بن علي ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، ط4، جدة، المكتبة العصرية الذهبية، 2001ز

15/ غليون، برهان المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، بيروت، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات، 2012.

16/ فضل الله، مهدي ، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ط2، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1998

17/ القنوجي، محمد الصديق بن حسن ، أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار الزكار، دمشق، دار الكتب العلمية، 1978،

18/ الكواكبي، عبد الرحمن ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دط، الجزائر، موفم للنشر، 1988. 19/ المسعودي، أبو الحسن بن علي ا، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، 2005، ج4.